

المجاز المرسل في سورة البقرة: دراسة بلاغية

إعداد:

محمد أمين إبراهيم

المدرس بكلية أسادا الإعدادية

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم المبلغ ما أنزل إليه بأحسن تعبير، وعلى آله، وأصحابه ومن والاهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ولذلك كان لازما على من يتبغى الهداية، والعلوم، والمعارف، ومستنبط الأحكام الدينية، والعربية أن يدم الصلة به تلاوة وعملا وتدييرا وفهما:

كل الفنون منه تستمد* وكل ما خالفه فردّ

وقاصد تدبر القرآن الكريم يحتاج إلى النظر في كلام أهل العلم لقراءة ما كتبوا في تفسير القرآن الكريم، فقد بسطوا ألفاظ القرآن الوجيزة في مبانيها العظيمة في معانيها، فأبانوا ما قد غمض على القارئ فهمه، وفصلوا ما جاء من القواعد العامة والكلمات، ودفعوا ما قد يتوهم من تعارض وأوضحوا المعاني التي اقتضته بلاغة المتكلم به سبحانه جل شأنه، وعينوا المعنى المراد من اللفظ المحتمل وسلكوا في ذلك مناهج متعددة من بحار علوم القرآن، ومنهم من اعتنى بجانب اللغة والبلاغة والأدب والنحو والتصريف، ومنهم من اعتنى بجانب الآثار والأحكام وغيرها من علوم هذا الكتاب، فالله يجزيهم الجزاء الأوفى.

- وهذه المقالة عبارة عن المجاز الذي كان فرعاً من فروع علم البيان وخاصة المجاز المرسل الكائن في سورة البقرة الكريمة.
- وتحتوي المقالة على النقاط التالية:
- (١) تعريف المجاز لغة واصطلاحاً وأنواعه.
 - (٢) أقوال العلماء حول المجاز في البلاغة.
 - (٣) أقوال العلماء في المجاز المرسل.
 - (٤) دور المجاز في تفسير القرآن.
 - (٥) المعنى الإجمالي لسورة البقرة.
 - (٦) صور من المجازات الواردة في السورة.
 - (٧) بلاغة المجاز الوارد في السورة.
 - (٨) الخاتمة.

تعريف المجاز لغة واصطلاحاً وأنواعه:

والمجاز جاء في اللغة العربية على معان كثيرة منها ما يلي:

أ/ المجاز بمعنى: جاز الموضوع أو المكان أي تعدها. وقال الشاعر:

خلوا الطريق عن أبي سيارة * حتى يجيز سالماً حصاراً

قال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي * بنا بطن خبث ذي حقاق عقنقل

والاجتياز في اللغة العربية بمعنى السلوك.

ب/ المجاز بمعنى الإنفاذ والإمضاء في الأمر، ومنه أجاز له البيع بمعنى

أمضاه، ومنه قولهم أيضاً: إذا باع المجازان فالبيع للأول، وإذا أنكح المجازان

فالنكاح للأول، والمجيز هنا الولي والوصي، لأن الولي والوصي هما القائمان بأمر اليتيم والمرأة، فيقال: هذه المرأة ليس لها المجيز، أي الولي.

ج/ المجاز بمعنى الركن أو عمدة ل شيء، والجائزة من البيت الخشبة التي تحمل السقف، ويجمع على أجوزة وجوائز، وفي الحديث أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني رأيت في المنام أن جائزة بيتي قد انكسرت فقال النبي صل الله عليه وسلم: خير يرد الله غائبك، فرجع زوجها، ثم غاب^(١). ومنه قولهم في الدعاء أيضا: (اللهم إني مسيء فتجاوز عني).

والمجاز في الاصطلاح البياني:

ومهما يكن من أمر، فإن أرسطو يرى أن المجاز هو نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر، والصفحة جوهريية في لغة الشعر في أن تكون واضحة دون مبتذلة، ومن نظره أن تكون جلية كل الجلاء إذا تألفت من ألفاظ دارجة لكنها حينئذ تكون ساقطة، والمجاز يجعلها نبيلة بعيدة عن الابتذال، وقد كان أبو عبيدة هو أول من عالج كلمة المجاز القرآني، ولكنه لم يقصد ما اصطلاح عليه البلاغيون المتأخرون من حيث الإسناد إلى غير هو حقه أن يسند إليه ولكنه يريد به معنى أوسع من ذا الذي عرف به وضع اللغة المعبرة.

وأما المجاز عند عبد القاهر الجرجاني: فهو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت به في وضع واضعها ملاحظة بين الأول والثاني فهي مجاز^(٢). وبأسلوب آخر كل كلمة حزت بها ما وقعت له في وضع المواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها واضعا لملاحظة ما تجوزه بها إليها وبين أصل الذي وضعت له فهي مجاز^(٣).

ومن ذلك اليد مجاز النعمة، إذ لو قلت: اتسعت النعمة في البلد والأمر بين، وأما لو قلت اتسعت اليد في البلد، لحال عليك الأمر كما تقول له على يد، كما

استعملوا أصبع والأصابع في أثر اليد، والنعمة لما لها من تأثير في الأعمال وقال الشاعر:

ضعيف العصايا باد العروق ترى له * عليها إذا أجذب الناس أصبعاً
وهكذا نقول: رأيت أصابع الدار، تعني آثارها، وله أصبع حسنة، وأصبع
قبيحة.

وأما الإمام القزويني، فقد أخرج المجاز عن دائرة علم البلاغة إلى المعاني
بعنوانه الحقيقة والمجازان العقليان، ومنه حقيقة عقلية ومجاز عقلي، ولم يسقهما
في البيان كما فعل السكاكي من تبعه، بل أوردهما في علم المعاني^(٤).

أنواع المجاز:

المجاز المفرد المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي
لملاحظة علاقة غير المشبهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي^(٥).
وله علاقات كثيرة منها:

- السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في غيره. وذلك فيما إذا
ذكر لفظ السبب، وأريد منه المسبب نحو: رعت الماشية الغيث، أي النبات،
لأن الغيث سبب فيه وقرينته لفظية وهي رعت لأن العلاقة تعتبر من جهة
المعنى المنقول عنه نحو: لفلان على يد، تريد باليد النعمة، لأنها سبب فيها.
- المسببية: هي أن يكون المنقول عنه مسبباً وأثرال شيء آخر، وذلك فيما إذا ذكر
لفظ المسبب وأريد منه السبب نحو: ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ أي المطر.
- الكلية: هي أن يكون الشيء متضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكر
لفظ الكل وأريد منه الجزء، نحو ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾^(٦)

- الجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء وأريد منه الكل مثل قوله تعالى: ﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾^(٧).
- اللازمية: هي كون الشيء مما يجب وجوده عند وجود شيء آخر، نحو: طلع الضوء، أي الشمس.
- الملزومية: هي كون الشيء يجب عند وجود شيء آخر، نحو ملأت الشمس المكان.
- الآلية: هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر، وذلك إذا ذكر اسم الآلة نحو قوله تعالى: على لسان موسى عليه السلام. ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾^(٨) أي ذكرنا حسنا.
- التشبيه ثم الإطلاق: هو كون الشيء مقيدا بقيد نحو: مشفر زيد مجروح فإن المشفر لغة شفير، ثم أريد هنا مطلق الشفة، فكان في هذا منقولا عن المقيد إلى المطلق وكان مجازا مرسلا علاقته التقييد^(٩).

أقوال العلماء حول المجاز في البلاغة:

ولا يخفى أن المجاز من أساليب اللغة العربية ومع ذلك فإن بعض العلماء ذهبوا إلى عدم وجوده في اللغة العربية أصلا، كأبي إسحاق الإسفرائي، وأبي علي الفارسي من النحاة. وقالوا إنما هو أسلوب من أساليب اللغة العربية، وليس هناك شيء يسمى مجازا^(١٠).

ومن هؤلاء العلماء ابن خوير منداد من المالكية وابن القاص من الشافعية والظاهرية، وتبعهم أبو العباس ابن تيمية وتلميذه ابن القاسم.

وقد ذهب علماء البلاغة إلى وجود المجاز في اللغة العربية والقرآن والحديث النبوي لأن بعض الألفاظ القرآنية لا بد أن تحمل على المجاز صونا للعقيدة

والتوسع في الأحكام الشرعية الفقهية وما ذلك إلا ورود بعض الألفاظ على حقيقتها وبعضها على المجاز.

أقوال العلماء في المجاز المرسل والعقلي في القرآن الكريم

وبالنظر إلى الآيات التالية يتضح أن المجاز المرسل والعقلي كائنان في القرآن الكريم أولاً قوله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ في هذه الآية مجاز مرسل لأن الرزق لا ينزل من السماء ولكن المطر ينشأ عنه النبات فالرزق مسبب عن المطر فهو المجاز علاقته سببية^(١١).

ثانياً: قوله تعالى حكاية قول نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُجِيبُوا بِأَصَابِعِهِمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(١٢) لأن الإنسان لا يستطيع أن يضع أصبعه كلها في أذنه، والمراد بالأصابع في الآية أطرافها، فهي مجاز مرسل علاقته كلية أرسل الكل وأريد الجزء.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١٣) وفي هذا تجد أن اليتيم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أن الله سبحانه وتعالى يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموال آبائهم، وهذا غير معقول، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء أموال من وصلوا سن الرشد بعد أن كانوا يتامى، فكلمة اليتامى مجاز مرسل، لأنها استعملت في الراشدين.

دور المجاز في تفسير القرآن الكريم

للمجاز دور فعال في تطور تفسير القرآن الكريم، وتوسيع دائرته، ومما يدل على ذلك ما قدمه المفسرون من جهود كثيرة في تسليط الضوء على مواضع المجاز في القرآن الكريم في تفاسيرهم.

ويبدو أن المبدأ في جهود الزمخشري التفسيرية كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر والدور الهام في تفسير القرآن الكريم والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من أنواع الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية يرى أنه كان يحرص كل الحرص على أن يبرز في صورة بديعة جمال أسلوب القرآن وكمال نظمه وبلاغته.

ومن دور المجاز في تفسير القرآن الكريم التوسع في المعاني والعبارات، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ مع قوله: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾، وقوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾.

وقد خالف المعتزلة أهل السنة وقالوا الخير من الله والشر من العبد مستدلين بقوله تعالى ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾.

ومذهبهم باطل، لأن نقول لهم إن نسبة السيئة للعبد بالنظر إلى صدورها منه ولا تأثير له فيها فنسبت له تأدبا مع الله عز وجل على حد قوله تعالى: حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفيني﴾. فنسبت الخلق والهداية وما بعدهما لله تعالى، لأنه هو اللائق بمقام الألوهية ونسب المرض لنفسه مع أنه من فعل الله تعالى تأدبا منه عز وجل..

المعنى الإجمالي لسورة البقرة

هذه السورة الكريمة من أوائل ما نزل من السور بعد الهجرة، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق وسميت بالبقرة إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى عليه السلام.

وآياتها مائتان وست، أو سبع وثمانون آية، وشأنها كشأن سائر السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.

اشتملت هذه السورة على معظم الأحكام التشريعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والقصص وفي أمور الزواج والطلاق وغير ذلك. تبدأ هذه السورة بالحروف الهجائية الثلاثة المقطعة، وهي: ألف، لام، ميم، ومثل هذه الحروف تجيء في مقدمة بعض السور القرآنية، وأكثر السور المبدوءة بالفواتح. نزلت عندما بلغ المشركون في حمل الوحي عن الافتراء، والسحر، والشعر، فواجههم القرآن بالتحدي.

وقد روي في تفسير هذه الحروف وجوه كثيرة والتفسير المختار منها، أنها إشارة للتنبية إلى أن هذا الكتاب المعجز مؤلف من جنس هذه الأحرف التي يركبون منها كلامهم، ومع ذلك قد عجزوا عن معارضته، فإنهم عرب فصحاء، وقد تحداهم هذا الكتاب مرة ومرات بأن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، فلا يملكون بعد التحدي جوابا.

وقد تناولت السورة الحديث عن ثلاث طوائف من الناس، وهم المؤمنون والكفار، والمنافقون، وأربع آيات في وصف المؤمنين، واثنان في وصف الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين.

كما تناولت السورة جانب التشريع، لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية، وهم في أمس الحاجة إلى المنهاج الرباني، والتشريع السماوي الذي يسيرون عليه في حياتهم، سواء في العبادات، أو المعاملات، ولذا فإن جماع السورة يتناول الجانب التشريعي، وهو باختصار أحكام الصوم، والحج، والعمرة،

ثم تحدثت عن بدء الخلق، فذكرت قصة الخليفة الأول آدم عليه السلام، وما جرى عند تكوينه من الأحداث التي تدل على تكريم الله تعالى للنوع البشري بالفضل والعلم.

ثم تناولت السورة الحديث بالإسهاب، والإطناب، عن أهل الكتاب وبخاصة اليهود، لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة، فنبهت السورة المؤمنين إلى خبثهم، ومكرهم، وما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من الخيانة ونقض العهود والمواثيق، إلى غير ذلك من القبائح والجرائم التي ارتكبوها، من سفك الدماء وقتل الأنبياء، والاستهزاء بآيات الله.

وقد تحدثت أيضا عن حرمة الربا، وأعلنت بالحرب من الله ورسوله على كل من يتعامل بها، وأعقبت آيات الربا بالتحذير عن تلك اليوم الرهيب، التي يجازى كل نفس فيه عن عملها.

وختمت السورة الكريمة بتوجيه المسلمين إلى التوبة، والإنابة، والتضرع إلى الله جل شأنه، وطلب النصرة على الكفار والدعاء لما فيه سعادة الدارين.

صور من مجازات الواردة في السورة

المجاز المرسل:

﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾^(١٤) وهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء، لأن دخول الأصبع كلها في الأذن لا يمكن، المجاز هنا أبلغ الحقيقة، ولذلك عدل عنها إليه.

﴿ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾^(١٥) والعرب يطلقون اسم المحل كالنهر على الحال فيه، كالماء، والقرينة ظاهرة، لأن التفجر إنما يكون للماء.

﴿واركعوا مع الراكعين﴾^(١٦) وهو من باب نسبة الكل باسم الجزء، أي صلوا مع المصلين، أطلق الركوع وأراد به الصلاة.

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾^(١٧) الخ. أطلق الوجه وأراد به الذات كقوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

﴿إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ فيه مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه أي إنما يأكلون المال الحرام الذي يقضى بهم إلى النار.

﴿وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكوة﴾. وفي فك الرقاب يعني فداء الأسرى، وفي لفظ الرقاب مجاز مرسل حيث أطلق الرقبة وأراد به النفس.

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف﴾^(١٨) أي قاربن انقضاء عدتهن أطلق اسم الكل على الأكثر، فهو مجاز مرسل لأنه لو انقضت العدة لما جاز له إمساكها.

﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ عبر عن قتل الغير بقتل النفس لأن من أراق دم غيره، فكأنما أراق دم نفسه. فهو من باب المجاز لأدنى ملابسة.

﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾^(١٩) فيه إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل في قوله: (وأمننا) للمبالغة، والإسناد مجازي آمننا من دخله، كقوله: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ فهو مجاز مرسل علاقته المفعولية.

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكراً عليم﴾^(٢٠) أي يثيب على الطاعة وقد عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان على العبادة، فأطلق الشكر، وأريد به الجزاء على طريق المجاز.

﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾^(٢١) المجاز المرسل في (على عقبيه) والعلاقة هي المصير فليس ثمة أسمح ولا أقبح من رؤية الإنسان معكوس الخلقه مخالفا للمألوف المعتاد.

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾^(٢٢) في الآية مجاز مرسل علاقته السببية، فإن السبب في الأصل الحبل الذي يرتقى به إلى ما هو عال، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء مادة كان أم معنى.

﴿ومن خاف من موص جنفاً أو إثمًا فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾^(٢٣) المجاز المرسل في "جنفاً"، فقد جاءت بمعنى الظن والتوقع، والعلاقة في هذا المجاز سببية، لأنه تعبير عن السبب بالمسبب.

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾^(٢٤) في قوله تعالى ﴿في ظلل من الغمام﴾ مجاز مرسل علاقته السببية لأن الغمام مظنة الرحمة أو العذاب وسببهما، فمنه تهطل الأمطار، وقد تنشأ السيول المتلفة، وتنزل الصواعق المهلكة.

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾^(٢٥) المجاز المرسل في قوله (حذر الموت) والمراد مرض الطاعون التي اجتاحتهم، والعلاقة هي اعتبار ما يتول إليه.

﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾^(٢٦) والبديع بمعنى المبدع كسميع بمعنى المسمع، وفعله أبداع فيه مجاز مرسل أطلق صفة المشبهة وهي البديع مثل فعيل، وأراد اسم الفاعل، والعلاقة فاعلية.

﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾^(٢٧) ومعنى الاستهزاء الاستخفاف لأن المستهزئ بالشيء، المستخف به، وقيل معنى (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم جزاء المستهزئ به وإسناد الاستهزاء إلى الله وهو من مجاز المرسل، وأطلق الاستهزاء به الجزاء.

﴿نساءؤمكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾^(٢٨) ولفظ النساء المراد به فروجهن وهو من باب المجاز المرسل أطلق الكل وأريد الجزاء وعلاقة هذا المجاز الكلية.

﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها﴾^(٢٩) أي موت سكان القرية فهو من قيد إطلاق المحل وإرادة الحال ويسمى المجاز المرسل.

﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾^(٣٠) المراد به هنا التجاوز والمساهلة لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك الشيء، ففي الكلام مجاز مرسل أو استعارة.

﴿أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم﴾ وقوله (آبائك) شمل العم والأب والجد،

فالجد إبراهيم، والعم إسماعيل والأب إسحاق، وهو من باب التغليب، وأيضا من المجازات المعهودة في فصيح الكلام، ألا وهو مجاز مرسل علاقته الكلية.

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾^(٣١) المعنى لا يترك، فعبر بالحياء عن الترك، لأن الترك من ثمرات الحياء، ومن استحيا من فعل شيء تركه، واستعمال الاستحياء في الآية من باب المجاز المرسل.

﴿وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾^(٣٢).

وقوله تعالى: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ فيه مجاز مرسل، والعلاقة محلية. هذا إذا كان النهر تجري منه الماء، كما ذهب إليه بعض علماء اللغة، أما إذا كان بمعنى الماء في الجري فلا مجاز فيه، وفيه لغتان، فتح الهاء وسكونها.

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾^(٣٣) في الآية مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول عليه أي أسلموها للقتل تطهيرا لها لينفذ هذا الحكم، وهذا أحد الأقوال في القتل وقيل المراد بقتل الأنفس تذليلها وكبح جماحها، فإن القتل بمعنى التذليل، ومنه قول حسان بن ثابت في وصف الخمر:

إِنَّ الَّتِي نَأْوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا * قُتِلْتُ، فُقِلْتُ، فَهَاتِمَا لَمْ تُقْتَلِ^(٣٤)

أراد بالقتل هنا مزجها بالماء لتذهب صورتها^(٣٥).

﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾^(٣٦) المجاز المرسل في الأيدي والمراد به النفس لأن البطش والحركة يكون بها، فهي مجاز مرسل علاقته جزئية. وأراد به الكل.

بلاغة المجاز الوارد في سورة البقرة

- وإذا أنعمنا النظر نرى أن المجاز قد لعب دورا فعالا في السورة منها ما يلي:
- (١) توسيع دائرة التأويل، وقد نال التأويل مجالا في هذا الميدان فمثلا قوله جل ثنائه، ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣٧) ترى أن المخادعة هنا من واحد لأن الله تعالى لا يخادعه أحد، ولا يجوز أيضا إسناد المخادعة لله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولذلك أولها عن الله تعالى، بل يجازيهم بمخادعتهم ويعاملهم معاملة المخادع.
- (٢) ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وذلك إسناد الاستهزاء إلى الله مجازا، والمعنى إن الله سبحانه وتعالى يجازيهم جزاء استهزائهم ويعاملهم معاملة المستهزئ، لأن المؤمنين يستهزئون بالمنافقين يوم القيامة بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ...﴾^(٣٨).

الخاتمة:

قد تم هذا البحث بحمد الله حول المجاز المرسل في سورة البقرة. وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على من أساليب البلاغة وخصوصا ما نحن بصددده وهو المجاز المرسل.

ودور المجاز في تأدية المعنى الواسع كان وما زال من أبرز معالم سورة البقرة الكريمة وللمجاز دور هام في تطوير التأويل في نصوص العقيدة والأحكام وغير ذلك.

وبهذا يتبين أن المجاز من أرفع الأساليب وأنفعها في علم البلاغة. فالمجاز هو الكفيل لإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح التأويل وإظهار دلائل الإعجاز ومعالم الإنجاز.

فالحمد لله الذي سهل لي هذا الأمر وبسط عمري، وأمدني بالعافية والصحة فأكملت هذا البحث المتواضع الذي دار حول المجاز في سورة من سور القرآن الكريم. فلذا وجدت نفسي مندفعاً نحو القرآن الكريم متمتعاً بأسلوبه وبلاغته.

الهوامش:

- (١) الجاحظ كتاب الحيوان: ج ٥ ص: ١١٥
- (٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص ٣١٨
- (٣) المرجع نفسه ص ٣٥٥
- (٤) نفس المرجع والصفحة
- (٥) ابن عبد الله، أحمد شعيب، بحوث منهجية في علم البلاغة القرآنية، بيروت لبنان ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م ص ١١٢
- (٦) البقرة: الآية: ١٩
- (٧) النساء الآية: ٩٢
- (٨) سورة الشعراء الآية ٨٤
- (٩) ابن عاشور، محمد الطاهر، موجز البلاغة ج ١ ص ٣٠
- (١٠) الأمين الشنقيطي: منع جواز المجاز في المنزل المتعبد. ص: ٢٩١
- (١١) السيوطي: عقود الجمان ص: ٢٢
- (١٢) نوح: الآية: ٧
- (١٣) النساء: الآية: ٢
- (١٤) البقرة: الآية: ٧٩
- (١٥) البقرة: الآية: ٧
- (١٦) البقرة الآية: ٤٣
- (١٧) البقرة: ١٤٤
- (١٨) البقرة: ٨٥
- (١٩) نفس المرجع: ١٢٥

- (٢٠) المرجع: ١٥٨
- (٢١) المرجع: ١٤٣
- (٢٢) المرجع السابق: الآية: ١٦٦
- (٢٣) المرجع: الآية: ١٨٢
- (٢٤) المرجع: الآية: ٢١٠
- (٢٥) نفس المرجع الآية: ١١٧
- (٢٦) المرجع السابق، الآية: ١٩
- (٢٧) المرجع: ٢٣١
- (٢٨) المرجع: ٢١٠
- (٢٩) المرجع: ٢٦٧
- (٣٠) المرجع السابق: ١٢٥
- (٣١) المرجع: الآية: ٥٤
- (٣٢) المرجع: ٥٣ ص: ١٦٥
- (٣٣) ديوان حسان ابن ثابت، ج ١ ص: ١٦٥
- (٣٤) الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن، م ١ ص: ١٠٥
- (٣٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٢
- (٣٦) المرجع السابق: الآية: ٩
- (٣٧) سورة الحديد، الآية: ١٣